٦٣٠
٢٠١٦/٤/١١

أفكار غيّرت العالم

١٦

تشى جيفارا
الثائر

بقلم :
د. منال القاضى

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة

سعيد عبده مصطفى

كتب أطفال وناشئة

سلسلة أفكار غيرت العالم

تصميم الغلاف:

سارة شريف

تم التنفيذ بمركز زايد للنشر الإلكترونى
بدار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل -
القاهرة - جمهورية مصر العربية

القاضى، منال.

تشى جيفارا الثائر/ بقلم: منال القاضى.

القاهرة: دار المعارف، 2016.

20 ص، 19.5 سم (أفكار غيرت العالم، 16)

تدمك 1 8301 02 977 978

1 - السياسيون الأرجنتيون.

2 - جيفارا، إرنستو (تشى)، 1928 - 1967.

(أ) العنوان.

تصنيف ديوى: 923.382

رقم الإيداع: 2464/ 2016

رقم أمر التشغيل: 27/ 2015/ 7

رقم الكونجرس: 2 - 840028 - 01 - 2

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف.

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مَنْ هوَ تشى جيفارا؟

- اسْمُه «أرنستو جيفارا» وشُهْرتُه «تشى جيفارا».
- وُلِدَ فى «الأرجنتين» فى ١٤ يوليو ١٩٢٨م.
- دَرَسَ الطِّبَّ فى جامعة بيونس أيرس وتَخرَّجَ عام ١٩٥٣م.
- انضمَّ للكوبىِّ «فيدل كاسترو» وصارَ جزءًا أساسيًّا من الثَّورةِ الكوبيَّة الَّتى نجحتْ بجهودِهِ.
- ماتَ فى «بوليفيا» ١٩٦٧م.

مِنْ أقوال جيفارا المأثورة:

- إنَّنى أحسُّ على وجْهى بألم كلِّ صَفْعَةٍ تُوَجَّهُ إلى مَظْلومٍ فى هذهِ الدُّنيا..أيْنما وُجِدَ الظُّلمُ فذاكَ هُوَ وطْنى.

وَقَـفَ «جيفارا» قريبًا من دراجتِهِ، مُتطلِّعًـا إلى الْفضاءِ الَّذى أمَامَهُ، قالَ بعضَ الْعباراتِ الَّتى أضْحكتَ رفيقَه «ألبرتو جراندو»، الَّذى أكَّدَ لَهُ أنَّها فكرةٌ ممتعةٌ.

أوْمَأ «جيفارا»: «بلا نُقودٍ.. بلا شىءٍ».

فَرَدَ «ألبرتو» ذراعيْهِ: «أنا وأنتَ».

أكْملَ «جيفارا»: «بلا مُمْتلكاتٍ».

«ألبرتو» يَحومُ حولَ دراجتِهِ.. قائلاً: «مُجردَ درَّاجتيْنِ».

حَرَّكَ «جيفارا» مِقْبضَ دراجتِه، وأضافَ: «وحُلْم كبيرٍ».

خَبَطَ «ألبرتو» كَفَّيْهِ مستعجبًا: «يا لَها مِنْ مُغامرَةٍ».

يقولُ «جيفارا»: «سنَتَنقلُ من بلَدٍ إلى بلَدٍ فى أمريكا اللاتينيَّة».

صَرَخَ «ألبرتو»: «يا لها من مغامرةٍ مُدْهِشةٍ».

تنهَّدَ «جيفارا»: «بَلْ محاولةٌ لِلاكْتشافِ والْفَهْم».

هزَّ «البرتو» كَتِفيْهِ موافقًا: «ليكنْ... أنا مَعَكَ».

تلاقى كفَّاهما وابتسما.

صوتٌ يَأْتى مِن بعيدٍ: «أرنستو... أرنستو»..

يَلْتفتُ «جيفارا» إلى مَصْدرِ الصَّوْتِ، إنَّها أمُّه «سيليا».

اقْتربَتْ مِنْه وتأمَّلها بإعجابٍ، امْـرأةٌ قويَّةٌ وحُلْوةٌ، عارضتْ سِياسةَ «بيرون» ديكتاتورِ بلدِهِ «الأرجنتين».

عانَتْ بسببِ آرائِها السِّياسيَّةِ ومواقفها الصُّلْبةِ.

إنَّها من أسـرةٍ ثريَّةٍ، ولَكِنَّها ليْسـتْ مُدَلَّلَةً، لَمْ تَنْكسِـرْ أمَامَ الصِّعـابِ الَّتى مـرَّتْ بالأسرَةِ، والَّتى نقلـتْهـم من الرَّفـاهـيَّةِ إلى السُّكْنى بجوارِ الْعشْوائياتِ فى وقتٍ من الأوقاتِ.

امْرأةٌ من طِرازٍ فريدٍ، قادتْ سيارةً فى الْوقتِ الَّذى كانتْ نِساءُ بلادِهِ مُخْتفياتٍ فى ظلالِ الْحكاياتِ والْأساطِير.

الْمـرأةُ الَّتـى أورثَتْه العنادَ وهَمَسَـتْ فى أذنيْـهِ حينَ أُصيبَ بالرَّبوِ منذُ كان فى الخامسَةِ: «كُنْ قويًا».

كانَ صوتُها يَمتزجُ بسُعالِهِ، ويَمْنحُه الْقُوةَ، فيتماسَكُ.

اقْتربَ منها وقبَّلها فوقَ جبينِها.. وسألها:

«أنتِ تثِقينَ بى؟».

أحاطتْ وَجْهَه بكفَّيْها وأجابته: «إلى أقصى حدٍّ».

فقالَ: «إذنْ لا تخافى».

انْقبـضَ وجهُهـا فطمْأنَهـا: «إذا لَـمْ تَخافـى سـأكونُ بخيرٍ وسَأقهرُ خَوْفى».

قالتْ: «إذن أنتَ مُصمِّمٌ على القيام بهذِه الرِّحلةِ».

مازحَها: «لا معنى للحياةِ دونَ مَخاطرةٍ.. أليسَ هذا كلامَكِ؟».

احتضنتْه.. وردَّدتْ: «ستعودُ.. أعلمُ أنك ستعودُ».

ضَحِكَ وقال: «بالطَّبعِ.. لستُ طَبيبًا بعدُ، ولا بدَّ أن أُنْهِيَ دراستى كما وعدتُك».

ركبَ درَّاجتَه وانْطلقَ وتَبِعَه صديقُه «ألبرتو»، وارتفعَ صوتُهما بالغناءِ.

راقبتْهما «سيليا» حتَّى اختفيا.

* * *

لَمْ ينسَ «جيفارا» هذهِ الرِّحلةَ أبدًا. الَّتى بدأَها هُوَ وصديقُه فى بيونس أيرس فى «الأرجنتين» وأنْهاها فى كاراكاس فى «فنزويلا». آلافُ الكيلو متراتِ الَّتى قطعَها رُبَّما عشرةٌ أو أكثر، وما يَقْرُبُ من ٢٤٠ يومًا، وحكايات لا تعدُّ حفظتْها ذاكرتُه وهو يتنقلُ بينَ دولِ «أمريكا اللاتينيَّة»، أبطالُها فقراء يعانونَ الظُّلمَ والْقهرَ، بينما يتمتَّعُ بخيراتِ القارةِ الْبكْرِ قلةٌ من المستغلينَ.

أدركَ أن الوجوهَ تتشابهُ من دولةٍ إلى دولةٍ، والمصائرُ والْآلامُ واحدةٌ، كلُّهم جائعونَ إلى الْحريَّةِ والعدالةِ والكرامةِ.

كانَ يكسبُ عيشَه خلالَ الأشْهُرِ الثَّمانيةِ بالقيامِ ببعضِ الأعمالِ البسيطةِ.

ورغـمَ أنَّـه لم يكن قد أَنْهى دراسـتَه الطِّبيـةَ، إلَّا أنَّه حاولَ تكريسَ ما تعلَّمه فى خدمةِ الْمرضى.

يدخلُ بهذه الصِّفةِ الأكواخَ والعُششَ الصفيحيَّة.

امْرأةٌ عجوزٌ كانت تسـعلُ، ذكَّرته بمعاناتِه الشَّخصيَّةِ، فهى تعانى من الرَّبوِ مِثلُه، جسدُها ينتفضُ ويتكوَّم مثلَ خرقةٍ باليةٍ.

أخذوه إلى حيثُ تَسْكنُ فى جُحْرٍ مُعْتم.

كانـتْ تحـاولُ أن تكتمَ سُـعَالَها، كمَـا تفعلُ دائمًـا مع كلِّ ما يعترضُها من ألم.. ولكن دون جدوى.

أعطاها بعضَ العقاقير. حدَّقت فيه بعينيْنِ ذابلتيْن.

حاولتْ أن تقولَ شـيئًا، ولكن الْكلماتِ كانتْ ثقيلةً، لا تتسعُ لها حنجرتُها.. لا يجرؤُ لسانُها على الْبوح.

بعـد أن هدأتْ، حـاولَ أن يتكلَّم معها، أَصْغـى إليها وانتظرَ أن تطلبَ شيئًا، ولكنَّها لَمْ تفعلْ.

قالَ لها مُشَجِّعًا:

«أتريدينَ أنْ تقولى شيئًا؟».

فردَّتْ: «لا شَىْءَ».

حدَّقتْ فيه فى وهنٍ. شعرَ بأن حياتَه تتغيَّرُ.

لا يمكنُ أن يرتاحَ وأمثالُ هذه المرأةِ يَتعذَّبونَ.

كانت الطُّرقُ الَّتى سلكَها طوالَ الأشهرِ الثمانيةِ متشابهةٌ، تعمَّد هوَ وصديقُه زيارةَ القرى النَّائيةِ، الَّتى لا تُظْهِرُها خريطةُ «أمريكا اللاتينيَّة» الملونةُ، ويتظاهرُ الأثْرياءُ بعدمِ وجودِها، حتَّى إذا علموا بشكلٍ عارضٍ بمعاناةِ سُكَّانِها، يهزونَ أكتافَهم ويقولونَ فى بلادةٍ:

«هكذا الحياةُ.. تفاوتٌ فى المصائرِ والحظوظِ، لا شىْءَ بيدنا».

ولكنَّ «جيفارا» كان يفكِّرُ بطريقةٍ مختلفةٍ، كلَّما استمعَ إلى أحد المنسيينَ، عاملُ مَنْجمٍ فى «شيلى»، مرضى الْجذام فى «الأمازون»، وآخرونَ لا يستطيعُ أن يُحْصِىَ عددَهم، التقى بهم فى كلِّ خُطوةٍ على طول العشرةِ آلافِ كيلو مترٍ. كلٌّ مِنْهم تركَ ندبةً داخلَه.

لقد تحدَّد مستقبلَه، سَيَهبُ حياتَه إليهم.

واصل «جيفارا» التَّنقلَ والتَّعلُّم والملاحظةَ، بصحبةِ رفيقِه، كانت تَزْدادُ رغبتُه فى التَّواصلِ مع أبناءِ «أمريكا اللاتينيَّة» فى كلِّ مكانٍ، وأن يَضمَّهم جميعًا فى قلبِه.

وحين تهالكتِ الدَّراجاتُ فى قريةِ تيموكو فى «تشيلى»، لم يُنْهيا رحلتَهما، واصلا التَّقدمَ مشيًا على الأقْدامِ.

كانت روحَه تتغيرُ، فمواطنو «أمريكا اللاتينيَّة» ينتمونَ إلى نفس الجنسِ ولهم نفسُ الطُّموحاتِ والآمالِ. يَطْمعونَ فى حياةٍ كريمةٍ، تتحقَّقُ فيها العدالةُ والدِّيموقراطيَّة.

حينَ وصلَ إلى كاراكاس عاصمةِ «فنزويلا»، كانَ قد كوَّنَ فِكْرةً عن مستقبلِهِ، سيهبُ حياتَه لرفعِ الظلمِ عن مواطنى «أمريكا اللاتينيَّة»، ولكن عليه أن يعودَ أولاً إلى «الأرجنتين» لإكمالِ دراستِهِ.

حَصُلَ على شهادتِهِ وأصْبحَ طبيبًا.

قرَّرَ الرَّحيلَ مرةً أخرى، ليعيشَ الحياةَ الَّتى تمنَّاها، قبَّلَ أمَّه «سيليا»، فسألتْه: «ولكن متى ستعودُ؟».

تَفادى النَّظرَ إليها، ففهمتْ؛ لن يعودَ أبدًا.

احْتضنَتْه وَبَكَتْ. قالَ وهُوَ يَمْسحُ دُموعَها:

«لقد عَلَّمتِنى ألَّا أرضى بالظُّلمِ، هناكَ الملايين من الْمقهورينَ فى «أمريكا اللاتينيَّةِ»، وهُمْ يحتاجونَ إلى مساعدةٍ، وإلى من يقفُ إلى جوارِهم».

هزَّتْ رأسَها: «سأصحبُك إلى المحطَّةِ».

ظلَّت واقفةً علـى رصيفِ الْمحطَّةِ، حتَّى تحرَّكَ الْقطارُ، صرخَ «جيفارا» بكلماتٍ، ماذا يقولُ؟ إنَّه يحلُم بمستقبلٍ أفضل لقارتِهِ.

لَوَّحتْ «سيليا» لابْنِها وكانَ قلبُها يَخْفِقُ بِشِدَّةٍ.

***

سيتوجَّه إلى «جواتيمالا».

مدَّد قدميْه داخلَ القطارِ واسْتسْلَمَ للأفْكارِ.

وعلتْ وجْهَه ابتسامةٌ مشرقةٌ، فما يحدثُ فى «جواتيمالا» الآنَ يبعثُ على الأملِ. فهناكَ ثَوْرَةٌ يقودُها الرَّئيسُ الشَّابُّ «جاكوبو».

يُمكِنُه أن يبدأَ من هُناكَ.

حينَ وصلَ «جواتيمالا»، وجدَ الجوَّ يمتلئُ بالأملِ والرَّغبةِ فى التغييرِ والتقدُّم إلى الأمامِ، فهناكَ نَهْضَةٌ تَبدأُ.

تَمْتمَ: «إنَّه الْحُلْمُ».

ولكـن هنـاكَ قـوًى شـريرةً كان لا يعجبُهـا ما يحـدُثُ فى «جواتيمالا»، لا يروقُ لها أن يتقدَّمَ شـعبٌ عانى القهرَ سـنواتٍ إلى الأمـامِ وهى المخابراتُ الأمريكيَّةُ والمسـتفيدونَ من الوضعِ السَّابقِ للبلادِ.

تَعــاونٌ خفيٌّ كانَ يَحومُ حولَ الْحُلْمِ، أثمرَ تدبيرَ ثورةٍ مُضَادَّةٍ، أطاحتْ بالإصلاحاتِ الوْليدةِ.

وبدلًا من أن يخطوَ «جيفارا» فوقَ أرضِ الأملِ، افترشتْ جُثَثُ الأبرياءِ الطُّرقاتِ. آلافُ الجثثِ والدّماءُ الطَّاهرةُ. بكى «جيفارا»، واخْتلطتْ دموعُه بدموعِ الكثيرين الَّذين بَكَوْا ذويهم وحُلْمَهم.

لقد تحوَّلتْ «جواتيمالا» إلى كابوسٍ.

ولكنَّ شيئًا دَاخِلَ «جيفارا» هَمَسَ:

«لا تيأس».

كانَ صوتُ الأملِ يَقْوى داخلَه وهو يتَّجهُ إلى «المكسيك».

كانتْ رحلتُه شاقةً، قطعَ آلافَ الكيلو مترات على قدميْه.

وهنــاكَ امْرأةٌ كانتْ تتبعُه وتحبُّــه.. مناضلةٌ من «جواتيمالا» اسمُها «هيلدا»، لحقتْ بهِ وقالتْ: «أنا مَعَكَ».

ابْتسمَ وتنقَّلا سويًّا بين فلَّاحى «المكسيك».

* * *

تَلقَّى «جيفارا» دعوةَ عشــاءٍ عنــدَ صديقةٍ كوبيَّة، كانتْ تعيشُ فى المكسيك، وهناكَ كانَ الْقدرُ يُعِدُّ خُطَّتَه لهذا الشَّابِّ الثَّائرِ.

فقد الْتقى بـ «فيدل كاسترو»، الثَّوريِّ الكوبيِّ.

شعرَ «جيفارا» منذُ الوهلةِ الأولى بتقاربٍ بينَه وبين «كاسترو».

وهناكَ خطَّطا للقيامِ بغزوٍ مُسلَّحٍ لـ «كوبا».

أكَّد لَه «كاسترو»:

«هناكَ مناضلونَ سَيُحِبُّونَ التَّطوُّعَ».

قالَ «جيفارا»:

«المهمُ أن نبدأ».

وصلَ مَرْكَبٌ قاموا بإعدادِه إلى الشَّاطِئِ الكوبيِّ في ٢ ديسمبر ١٩٥٦م.

وقد بلغَ عددُ المتطوعينَ المسلَّحينَ الَّذين أبْحروا مع «كاسترو» و«جيفارا» نحو ٨٢ مناضلاً.

وما إن رسا المركبُ، حتَّى وجدوا أنفسَهم محاطينَ بالخطرِ.

فقد أمطرهم أعوانُ ديكتاتور كوبا في ذلك الوقتِ بالرَّصاصِ، ولم ينجُ سوى ١٢ مُناضلاً، من بينِهم «كاسترو» و«جيفارا».

جَروْا بأقصى سُرْعةٍ..

صوتٌ يسألُ:

«إلى أينَ نتَّجهُ؟».

صوتٌ يجيبُ: «إلى الشَّمالِ حيثُ الجبالُ».

* * *

اتَّجــه الثُّوار الكوبيــونَ ومَعْهم «جيفارا» إلــى الجبالِ، وكانَ «كاســترو» يدركُ كلَّما مرَّ الوقــتُ قيمةَ هذا الفتــى الأرجنتينىِّ ومَدى إخلاصِه ورغبتهِ فى أن تنعمَ «كوبا» بمستقبلٍ أفضل.

كان يشاركُ فى تدريبِ الثُّوارِ الكوبيينَ وتسْليحهم.

وفى أحدِ اجتماعاتِ الجيشِ الثورىِّ الكوبىِّ، قلَّده «كاســترو» نجمةً ذهبيَّةً وضعها فى مقدمةِ البيريه الَّذى يرتديه فوقَ رأسِهِ.

وقالَ:

«إنك من الآن فصاعدًا قائدُ الجيشِ الثَّانى الكوبىِّ الثَّورىِّ».

دمعتْ عينا «جيفارا» وقالَ:

«أنا فقط مواطنٌ من «أمريكا اللاتينيَّة»، وأتمنَّى أن يسودَ الخيرُ والرَّخــاء فى كلِّ بلدٍ من بلادِ هــذه القارةِ العزيزةِ على قلبى، لقد وُلِدتُ فى «الأرجنتين» ولكن وَطنى الحقيقىَّ هو أىّ مكان فيها».

كانَ جيشُ الثُّوارِ الكوبيينَ نحوَ مائتينِ وعشرين.

أمــا «باتيســتا» ديكتاتــور كوبــا فــى ذلــكَ الوقــتِ فــكان جنودُه بالآلافِ.

إضافةً إلى تســليحٍ ممتــازٍ، طائراتٍ حربيَّــةٍ ومدفعيَّةٍ ثقيلةٍ وغيرِها من الأسلحةِ.

كان يدورُ بيَن قوادِه فى غرفةِ العملياتِ ويقولُ:

«كاسترو» هذا مثل دمِّل».

هوَّن عليه أحدُ القوادِ:

«دمِّلٌ صغيرٌ يمكنُ التَّخلصَ منه بسهولةٍ».

وقال آخرُ:

«قوتُه لا تقارنُ بقوتِنا ومن السَّهلِ القضاءُ عليهِ».

التمعتْ عينا «باتيستا» وقال بابْتسامةٍ خبيثةٍ:

«وماذا ننتظرُ؟!».

قال أحدُ القوادِ:

«لقد اقتربَ «كاسترو» من نهايتِهِ».

قال «باتيستا»:

«ليكن هذا اسمَ معركتِنا القادمةِ (نهاية كاسترو)».

أشارَ أحدُ القوادِ إلى الخريطةِ مُحَدِّدا نقطةَ الهجومِ:

«هنا يُعسكِرُ «كاسترو» وأعوانُه، ولكنَّنا سنقضى عليهِ. سَنُخَصِّصُ لهذهِ المعركةِ عشرةَ آلافِ جندىٍّ».

اقتربَ «باتيستا» ودقَّق فى الخريطةِ وصاحَ:

«النَّصرُ لنا».

فى أحـدِ الأكـواخِ المُقامةِ فوقَ جبلِ سـبيرا مايسـترا، كانَ «جيفارا» و«كاسترو» وأعوانُهما يتدبرونَ أمرَهم.

وضعَ «جيفارا» خطةً، واقْتنعَ الباقونَ.

تقدَّم جيش «باتيستا» وأحاطَ به جيشُ الثُّوارِ الكوبىُّ من أربعِ جهاتٍ، قُتِلَ حوالى خمسـمائة وأُسِـرَ ما يربو على خمسـين من أعوان «باتيستا».

كان نصرًا مدويًا، أسعدَ الكوبيينَ فاحتفلوا فى العاصمةِ «هافانا».

تركَ جيشُ كوبـا الثورىُّ الجبالَ وتقدَّم نحـوَ العاصمة، وكان «جيفارا» العقلَ المُدَبرَ، فسقطتْ بفضلِه مدينةُ «سانتاكلارا» القريبةُ من «هافانا»، تقدَّم الجيشُ الثَّورىُّ حتَّى دخلَ العاصمةَ «هافانا».

* * *

نجحت الثَّورةُ الكوبيَّةُ، وحانَ وقتُ العملِ الجادِ من أجلِ البناءِ.

كانَ «جيفـارا» العقـلَ المُدَّبرَ، والثورىَّ البسـيط الَّذى يأنفَ الرَّفاهيةَ، قد تزوَّجَ من «هيلدا» فى حفلٍ بسيطٍ.

لم يكنْ يملكُ المالَ، ولذلكَ فقد أحضرَ المدعونَ أطعمتَهم معهم.

كان مسكنُه به قليلٌ من الأثاثِ وكثيرٌ من الكتبِ.

وهنـاك خَاطِرٌ كان يلاحقُه ولا يسـتطيعُ التَّخلصَ منه، وكان أحيانًا يُسِرُّ بهِ للقريبينَ منه:

«سأموتُ قريبًا».

تسألُه «هيلدا»:

«لماذا تفكِّرُ فى الْموتِ؟».

يهزُّ كتفيْه:

«لقد حقَّقتُ ما كنتُ أصبو إليه».

تقول لَه فى رقَّةٍ:

«هناكَ الكثيرُ لِتُحقِّقَه».

يُغْمِضُ عينيْه ويستسلمُ للأفكارِ ويُتمْتمُ كأنَّه يقرأُ الغيبَ:

«لا أدْرى.. هكذا أشعرُ».

تُعِدُّ لَه «هيلدا» حقيبةَ السَّـفرِ، فهى تعلمُ أن «كاسترو» أرسَلَه فى رحلةٍ دبلوماسيَّةٍ فى «الشَّرقِ الأوسطِ» و«آسيا».

يراقبُها فى شَغَفٍ، إنَّها قدرُه.

يعودُ «جيفارا» من السَّفرِ، ليُكْمِلَ ما بدَأَهُ.

يَقـودُ حملةَ تأميماتٍ واسـعةٍ. مزارعَ السـكرِ والتَّبغِ ومعاملَ تكريرِ البترولِ والبنوكَ وغيرِها.

تَشْعرُ «أمريكا» بالتهديدِ.

تتوعدُ «كوبا»، وتقومُ بتدريبِ عددٍ من المهاجرينَ الكوبيينَ وتُرسلُهم فى مواجهةِ الجيشِ الثورىِّ.

يتحدَّثُ العالمُ عن المعركةِ الَّتى تدورُ بين الجانبينِ الَّتى أُطلقَ عليها «معركةُ خليجِ الخنازير».

ينتصرُ الجيشُ الثورىُّ.

لا مفرَّ إذن من عقوباتٍ اقتصاديَّةٍ صارمةٍ تُفرَضُ على «كوبا».

كان «جيفارا» يشغلُ فى تلكَ الأثناءِ منصبَ وزيرِ الصناعةِ.

كان يقضى وقتَه متنقلًا بين المزارعِ والمصانعِ.

ليس كوزيرٍ لَه موكبٌ ومنصبٌ ولكن كثورىٍّ يريدُ نقلَ «كوبا» إلى المستقبلِ، رغم مناوءاتِ «أمريكا».

يَهمسُ أحدُ العمالِ: «جيفارا» هنا.

يسألُ آخرُ: «أين؟».

يجيب: «يساعدُ فى جمعِ المحصول».

يبتهجُ العمالُ ويدبُّ فيهم النَّشاطُ.

يلمحُه أحدُهم ويحييه.

يَرُدُّ «جيفارا» بابتسامةٍ ويواصلُ العملَ، مرتديًا زيَّه العسكرىَّ.

* * *

يـدبُّ الخـلافُ بين الأصدقاءِ، يبـدأُ بعتابٍ ثـم يتحوَّلُ إلى مُواجَهةٍ، هذا ما حَدَثَ بين «فيدل كاسترو» و«أرنستو جيفارا».

«جيفارا» لم يتغيرْ، لِماذا عليه أن يفعلَ؟ لقد تركَ الحياةَ السَّهلةَ واختارَ الطَّريقَ الصَّعبَ، كي يحقِّقَ حياةً تتواءمُ معَ طبيعتِهِ.

الصَّراحةُ الشَّديدةُ وعدمُ السُّكوتِ عن الحقِّ، مهاجمةُ الاتِّحادِ السوفيتيِّ حينَ أرسلَ الدَّباباتِ إلى براج لإسكاتِ الثَّائرينَ هناك.

لم يُعجْبه فسادُ البعضِ داخلَ حكومةِ «كاسترو».

قالَ لـ «كاسترو»:

«البعضُ يثورُ من أجلِ تحقيقِ الْعدالةِ والبعضُ تُغريهِ السُّـلطةُ وتُسْحرُه، لستُ من هؤلاءِ الَّذين تسحرُهم السُّلطةُ».

خبطَ «كاسترو» المِنْضَدةَ..قائلًا:

«لماذا تقولُ ذلك، أنا فقط أطلبُ منكَ أن تخفِّفَ من تصريحاتِك من أجلِ صالحِ الجميعِ».

يصيحُ «جيفارا»:

«أخفِّفُ من تصريحاتي؟ الآن؟ وبعد كلِّ الصِّعابِ الَّتي واجهتُها، أنا دائمًا أقولُ ما أؤمنُ به، لماذا تزجونَ الآن بمن يَنْتقدُ الحكومةَ إلى السجنِ؟».

يقولُ له «كاسترو»:

«إنكَ أحد أفرادِ الحكومةِ وعليكَ أن تلتزمَ بالسيَّاسةِ العامَّة، وإلَّا فعليكَ أن تتركَ «كوبا» إلى الأبدِ».

يردَّ «جيفارا»:

«ليكنْ».

وقد استقرَّ داخلَه أن «كاسترو» الَّذى بدأ مُناضلاً سيتحولُ يومًا إلى ديكتاتور.

* * *

اخْتفى «جيفارا» وكثرت التَّكهناتُ حوْلَه.

هلْ مـاتَ؟ هل هُـوَ داخلَ أحدِ سـجونِ «كاسـترو»؟ هل عادَ إلى «الأرجنتين»؟ هل سافرَ إلى «فيتنام»؟ هل يناضلُ فى «الكونغو»؟

لـم يكـنْ «جيفـارا» فـى أىٍّ مـن تلـكَ الأماكـن، كانَ فـى «بوليفيا»، يسـاعدُ فـى تدريبِ الجيشِ الثورىِّ هنـاكَ، متخفيًا تحتَ اسمٍ مُستعارٍ.

أُلْقىَ القبضُ عليهِ بعد وشـايةِ أحدِهم، وأُعْدِمَ داخل مدرسـةٍ صغيرةٍ فى قريةٍ «هجيرا».

رَبَطوا جثَّته بطائرةٍ هليكوبتر، ونقلوه إلى الْمشرحةِ.

انقضَّتْ عليه الكاميراتُ تلتقطُ لجسمانِه الَّذى فارقتْه الحياةَ الصُّورَ لتنشرَها صحفُ العالَم ليكونَ عِبْرةً، هكذا خطَّطَ قاتلوه، لكنَّ صورَه وتاريخَه وصِدْقَه مع نفسِهِ، جعلوا منه أسطورةً.